Journal of Agricultural, Environmental and Veterinary Sciences (JAEVS) • Vol 9, Issue 2 (2025) • P: 14 - 1
https://journals.ajsrp.com/index.php/jaevs
ISSN: 2522-3364 (Online) • ISSN: 2522-3364 (Print)

Agricultural production in the southern central Rif: between traditional practices and the desire for modernization and intensification "Taounate District as a model"

Dr. Hini Mohammed * ,Dr. El-Bazoui Jaouad, Dr. Errafik Mohammed
Multidisciplinary Faculty, Taza | Sidi Mohammed Ben Abdellah University | Morocco

Received: 21/03/2025
Revised: 05/04/2025
Accepted: 22/04/2025
Published: 15/06/2025

* Corresponding author: mohammed.hini@usmba.ac.ma

Citation: Hini, M., El-Bazoui, J., & Errafik, M. (2025). Agricultural production in the southern central Rif: between traditional practices and the desire for modernization and intensification "Taounate District as a model". *Journal of Agricultural, Environmental and Veterinary Sciences, 9*(2), 1 – 14. https://doi.org/10.26389/AJSRP.E230325

2025 © AISRP • Arab Institute of Sciences & Research Publishing (AISRP), Palestine, all rights reserved.

• **Open Access**

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license

Abstract: Traditional agriculture in the Taounate District has long been the primary economic activity and resource for the local population because of both the absence and limited importance of other activities. However, its weak returns -resulting from natural, organizational, and technical constraints- have altogether forced the state and local farmers to adopt production models that are based on modernization and intensification using what is available with the aim of increasing productivity and achieving regular and sustainable incomes.

In this context, this study aims to highlight the reality of agricultural production in the Taounate district, between traditional practices and the desire for modernization and intensification. The study explores the transformations affecting agricultural production methods, including tools and inputs, the manifestations of agricultural intensification, and the yield of products. It also examines some of the constraints hindering modernization and intensification processes, In this paper, the descriptive and analytical approaches have adopted, based on a field norm survey of 840 farmers.

The most important findings we have reached are summarized as follows: The early farmers' move towards modernization and intensification; 50.8% of them currently rely on selected seeds, 89.9% use pesticides, 71.1% use chemical fertilizers, and 87.2% rely on threshing machines. As to crops, they have been diversified and intensified using what is available (cereals, fruit trees). Agricultural revenue has also witnessed some improvement, especially in the wet seasons, with an average of 17 tons/ha for cereals, 21 tons/ha for olives, and 17.6 tons/ha. However, this desire for intensification and modernization is facing natural and organizational constraints. Therefore, this study proposes reform at two levels: First, we suggest a transition from Dry agriculture to irrigated agriculture, providing a solution to the land problem, Second, we propose the necessity of establishing an industrial base to enhance the value of agricultural products and improve livestock breeds.

Keywords: Taounate district, modernization, intensification, traditional practices, agricultural production.

الإنتاج الفلاحي بالريف الأوسط الجنوبي بين الممارسات التقليدية والرغبة في التحديث والتكثيف "دائرة تاونات أنموذجا"

الدكتور/ هيني محمد*، الدكتور/ البزوي جواد، الدكتور/ الرفيق محمد
الكلية متعددة التخصصات تازة | جامعة سيدي محمد بن عبد الله | المغرب

المستخلص: شكلت الفلاحة التقليدية بدائرة تاونات مند القدم، النشاط والمورد الاقتصادي الأساسي للساكنة المحلية في ظل غياب وضعف أهمية باقي الأنشطة الأخرى، لكن ضعف مردوديتها نتيجة الإكراهات الطبيعية والتنظيمية والتقنية، فرض على الدولة والفلاح المحلي، تبني أنماط إنتاج ترتكز على التحديث والتكثيف داخل الحيازة، للرفع من المردودية وتحقيق مداخيل منتظمة ومستدامة. وفي هذا السياق، تهدف هذه الدراسة، إلى إبراز واقع الإنتاج الفلاحي بدائرة تاونات، بين الممارسات التقليدية والرغبة في التحديث والتكثيف، من خلال الكشف عن التحولات التي مست وسائل الإنتاج الفلاحي، على مستوى الأدوات والمدخلات، ومظاهر التكثيف الفلاحي داخل الحيازة ومردودية المنتوجات، مع رصد بعض الإكراهات التي تعيق عمليتي التحديث والتكثيف. وقد اعتمدنا في هذه الورقة، على المنهجين الاحصائي والوصفي التحليلي، وعلى استمارة ميدانية شملت 840 فلاح.

تتلخص أهم النتائج التي توصلنا إليها في: بداية توجه الفلاحين نحو العصرنة والتكثيف؛ نسبة (50,8 %) منهم أصبحت تعتمد على البذور المنتقاة، و(89,9 %) تستعمل المبيدات، و(71,1 %) تستخدم الأسمدة الكيماوية، (87,2 %) تعتمد على آلة الدرس. تنويع المزروعات وتكثيفها داخل الحيازة (الحبوب، الأشجار المثمرة)، كما شهد ت المردودية الفلاحية نوعا من التحسن خاصة في المواسم الرطبة، 17 (ق/ه) كمتوسط في الحبوب، و21 (طن/ه) في الزيتون، وإلى 17,6 (طن/ه)، لكن هذه الرغبة في التكثيف والتحديث تواجهها إكراهات طبيعية وتنظيمية، لذلك تقترح هذه الدراسة الانتقال من الفلاحة البورية إلى السقوية، وإيجاد حل للمشكل العقاري، مع ضرورة إقامة قاعدة صناعية لتثمين المنتجات الفلاحية، وتحسين سلالات الإنتاج الحيواني....

الكلمات المفتاحية: دائرة تاونات، التحديث، التكثيف، الممارسات التقليدية، الإنتاج الفلاحي.

مقدمة:

إذا كانت المجالات السهلية قد قطعت مراحل مهمة في عصرنة اقتصادها الفلاحي، فإن المجالات الجبلية خلال السنين الأخيرة، عرفت طفرة نوعية في زعزعة الممارسات التقليدية، التي ظلت ولعقود من الزمن تشكل أسس الإنتاج الفلاحي، واتجهت نحو العصرنة والتكثيف لضمان مداخيل منتظمة، والسعي لمراكمة الأرباح، وقد ساهم في هذا التحول مجموعة من التدخلات العمومية إضافة إلى المبادرات الذاتية للساكنة المحلية. (الفارسي، 2022، 263)

ودائرة تاونات كمجال جبلي، كانت و لا تزال تعتمد في اقتصادها المحلي على النشاط الفلاحي ، خاصة الفلاحة التقليدية القائمة على التكامل بين الأنشطة الزراعية وتربية الماشية، والتي ترتبط بشكل كبير بالتساقطات المطرية؛ وفي ظل النقص الكبير لكمية الأمطار في العقدين الآخرين، وارتفاع تكاليف الإنتاج، والانتشار الكبير للاستغلاليات الصغيرة، أصبحت المردودية منخفضة وغير قادرة على تغطية النفقات الأسرية، في ظل التحولات التي يشهدها المجال على مستوى نمط العيش، حيت نجد ثلاث فلاحين من بين أربعة دخلهم الفلاحي السنوي لا يتجاوز 10000 درهم (هيني، 2024، 144).

ولتجاوز هذا الوضع، شهد المجال في إطار مخطط المغرب الأخضر تدخلات متعددة، تهدف إلى تحقيق تنمية فلاحية، ترتكز على تنمية سلاسل الأشجار المثمرة خاصة الزيتون والتين واللوز، وإدخال أصناف جديدة ذات مردودية مرتفعة، وتشجيع عصرنة أساليب إنتاجها، كما اتجه الفلاح المحلي إلى تجاوز الممارسات التقليدية في الأنشطة الفلاحية، بعصرنة وسائل ونظم الاستغلال، وتكثيف الإنتاج داخل الحيازة، بالمزج بين الزراعة وغراسة الأشجار المثمرة وتربية الماشية، وذلك للرفع من المردودية وضمان مداخيل منتظمة ومستدامة.

1. تقديم مجال الدراسة

تقع دائرة تاونات جغرافيا بين خطي عرض 34.3 و35 شمالا، وخطي طول 4 و4.5 غربا، وإداريا توجد بإقليم تاونات شمال المغرب، يحدها من الشمال إقليم الحسيمة، ومن الجنوب دائرة تيسة، ومن الشرق إقليم تازة، ومن الغرب دائرة غفساي، وتمتد على مساحة تقارب 1250 كلم^2، أي ما يعادل 22 % من مساحة الإقليم والبالغة 5116 كلم2. تتقاسم مجالها الجغرافي جماعتان حضريتان و12 جماعة قروية. (الشكل 1).

تنتمي من الناحية الطبيعية إلى الجبال المنخفضة للريف الأوسط الجنوبي، تتميز بتضاريس متنوعة تجمع بين الجبال والهضاب والمنخفضات، من الناحية الجيولوجية تنتمي إلى الريف الأوسط الخارجي، الذي ارتبط تشكيله بتطورات سلسلة جبال الألب خلال الزمن الثالث (الفلاح، 2000، 245). أما طبوغرافيا فتتميز بالتدرج في الارتفاع من الشمال الشرقي في اتجاه الجنوب الغربي، يوازي هذا التدرج تدرج مناخي، من مستوى رطب إلى معتدل في العالية بجبل تيفلواست 1752 متر، إلى مستوى شبه رطب إلى معتدل في السافلة بجوار واد ورغة 298 متر.

ديمغرافيا تصل ساكنة المجال حسب إحصاء 2024 إلى 166588 نسمة، وتتميز بكثافة سكانية مرتفعة تقدر ب 132 ن/كلم^2، وبنمو ديمغرافي بطيء 1,2% .

الشكل 1: موقع دائرة تاونات ضمن المجال المغربي

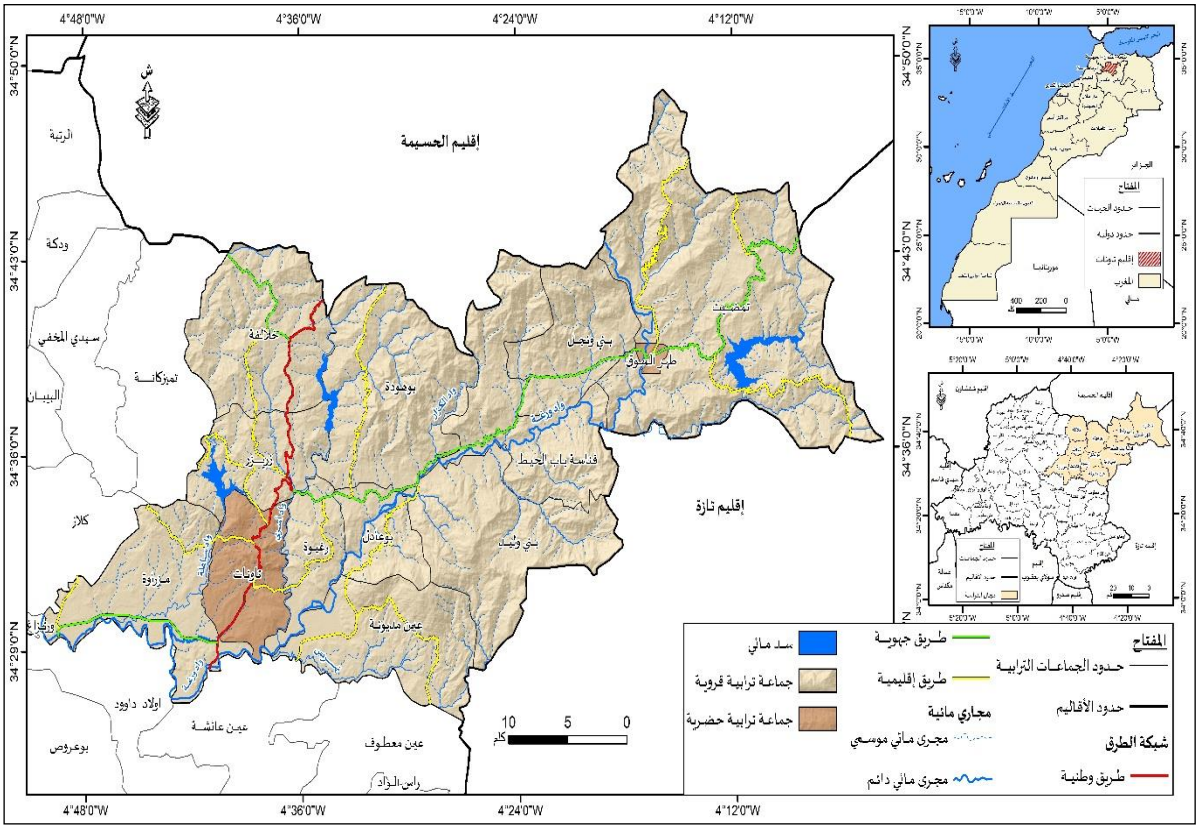

المصدر: خريطة التقسيم الجهوي 2015

إشكالية الموضوع

ساهمت هشاشة الأوضاع الاقتصادية والبشرية، والظروف الطبيعية بدائرة تاونات مند القدم، في سيادة اقتصاد فلاحي يجمع بين الزراعات السنوية، وتربية الماشية ،والمغروسات الشجرية، لكن عجزه عن تحقيق حاجياتهم في ظل نمط استغلال تقليدي، وبنيات عقارية مجزأة، وتوالي سنوات الجفاف، عمد الفلاح المحلي إلى تحديث وسائل الإنتاج الفلاحي بإدخال تقنيات وأساليب عصرية، وتطوير نظم الاستغلال (تسميد الأراضي، البذور المنتقاة، إراحة الأرض، احترام الدورة الزراعية....)، و تكثيف الإنتاج داخل الحيازة، وذلك للرفع من المردودية وتحقيق تنمية زراعية، إلا أن هذه الآليات التحديثية اصطدمت بإكراهات بنيوية متعددة.

إذن، من خلال ما سبق، يمكننا صياغة إشكالية هذه الدراسة في التساؤل الجوهري الآتي: ماهي آليات التحديث والتكثيف الزراعي بالمجال، وما قدرتها على العصرنة والاستمرار في ظل تجدر وهيمنة الممارسات التقليدية والعوائق البنيوية والاكراهات الطبيعية؟

الفرضيات:

تنطلق هذه الدراسة من الفرضيات التالية:

- سيادة الطرق التقليدية في الإنتاج الفلاحي، تعيق الرفع من المردودية وتطوير القطاع؛
- تحديث وتكثيف الأنشطة الزراعية عامل حاسم في الرفع من المردودية وتحقيق مداخيل منتظمة.

أهداف الدراسة:

تتوخى هذه الدراسة بشكل عام تحديد الأهداف التالية:

- ابراز التحولات التي يشهدها المجال على مستوى وسائل وأنماط الاستغلال الفلاحي بدائرة تاونات؛
- الكشف عن الاكراهات التي تعيق التحديث والتكثيف الفلاحي بالمجال.

منهجية الدراسة وأدواتها

تتعدد المناهج المعتمدة في العلوم الإنسانية بشكل عام، والأبحاث الجغرافية بشكل خاص، بسبب تنوع وتعقد الظواهر الاجتماعية والإنسانية والمجالية المدروسة. هذا الاختلاف يقتضي اعتماد مناهج متعددة للإحاطة بالإشكالية والتحكم فيها، ومقاربتها بشكل علمي ودقيق. وفي هذا السياق فرضت علينا طبيعة الإشكالية الاعتماد على المنهجين الاحصائي والوصفي التحليلي.

وللإحاطة بالإشكالية من جميع جوانبها، اعتمدنا في هذه الدراسة على الأدوات التالية:

- العمل الميداني: يعتبر مرحلة جوهرية في البحث الجغرافي، إذ يفيد في الإجابة عن بعض التساؤلات التي ظلت عالقة بعد الاضطلاع على العمل البيبليوغرافي، كما أنه يعطي مصداقية وقيمة علمية للدراسة "لا بحث جغرافي بدون عمل ميداني " (كرزازي، 2008)، ويضيف أن الميدان هو "الوحيد الذي يعطي للباحث الحق في الكلام". وهكذا فقد تم ملء 840 استمارة ميدانية همت ست جماعات ترابية، كما هو مبين في الجدول (1). وفي مجال جغرافي شاسع يمتد على 13 جماعة ترابية يصعب الولوج إلى معظمها ارتباطا بوضعها التضاريسي الجبلي، وبضعف بنياتها الطرقية فقد واجهنا صعوبة في الوصول إلى كل ساكنته، الأمر الذي حتما علينا اختيار عينة من المجتمع راعينا فيها التشابه والاختلاف بين الجماعات الترابية علو مستوى الخصائص الجغرافية والاقتصادية والاجتماعية، ساعدنا في ذلك انتماءنا لهذا المجال والزيارات المتكررة التي قمنا بها، وهكذا فقد تم الاستغناء عن الجماعات المتشابهة تخفيفا من مشاق العمل الميداني وتكاليفه، وإيمانا منا بأنها لن تقدم أي إضافة أو جديد في المعطيات المرغوبة.

الجدول 1: توزيع الاستمارات الميدانية على الجماعات الترابية المبحوثة حسب وزنها الأسري

الجماعات الترابية	عدد السكان	عدد الأسر	الوزن الاسري	نسبة العينة	عدد الأسر المستجوبة
عين مديونة	15770	3240	21.21	5.5	178
مزراوة	8317	1599	10.47		88
ارغيوة	4218	1035	6.77		58
اخلالفة	14681	2917	19.1		160
بوهودة	26236	3970	25 .99		218
تمضيت	14669	2510	16.43		138
المجموع	83891	15271	100		840

المصدر: الإحصاء العام للسكان والسكنى 2024+ استمارة البحث الميداني، 2023

- الدراسات البيبليوغرافية: الاطلاع على مجموعة من الدراسات والأبحاث الجامعية والتقارير الإدارية التي لها صلة بالموضوع والمجال.
- العمل التقني: توظيف برنامج SPSS في تفريغ الاستمارة وتحويل معطياتها إلى اشكال و جداول، و برنامج ARCGIS لإنجاز العمل الكرطوغرافي....

2. نتائج ومناقشة

1.2 وسائل الإنتاج الفلاحي بدائرة تاونات

1.1.2 سيادة الأنماط التقليدية لاستغلال المجال

تعتبر وسائل الإنتاج من الآليات الأساسية في تحديد نوع الاستغلال وكمية المردود، فاستخدام المكننة مؤشر على عصرنة القطاع، وعامل أساسي في الرفع من الإنتاج الفلاحي وإذكاء التكثيف الزراعي، كما أن ضعف توظيفها يساهم في سيادة فلاحة معيشية تقليدية ذات مردودية ضعيفة، ودائرة تاونات كجزء من الأرياف المغربية الجبلية، راكمت تأخرا كبيرا في هذا الجانب، بالنظر للخصوصيات الطبوغرافية للمجال(جبلي) والأوضاع السوسيو-اقتصادية للساكنة (الفقر، الهشاشة، ...)، لكن في العقدين الأخيرين، نتيجة تدخلات الدولة من خلال إقامة منشآت مائية (سد الساهلة، سد بوهودة، سد أسفالو) ، بدأ المجال في مجموعة من جماعته الترابية خاصة المتواجدة بالمنخفضات (عين مديونة، مزراوة) يتجه نحو العصرنة في وسائل و نظم الإنتاج، و التكثيف داخل الحيازة.

الجدول 2: الأدوات المعتمدة في الإنتاج الزراعي بالجماعات المبحوثة بدائرة تاونات (%)

الجماعات	الجرار (%)	المحراث (%)	مجموع (%)	آلة الحصد	بالمنجل (%)	مجموع (%)	آلة الدرس	بالدواب (%)	مجموع (%)
عين مديونة	76	24	100	70	30	100	91	9	100
بوهودة	10	90	100	3	97	100	87	13	100

الجماعات	الجرار (%)	المحراث (%)	مجموع (%)	آلة الحصد	بالمنجل (%)	مجموع (%)	آلة الدرس	بالدواب (%)	مجموع (%)
اخلالفة	8	92	100	0	100	100	89	11	100
تمضيت	2	98	100	0	100	100	77	23	100
مزراوة	82	18	100	92	8	100	95	5	100
ارغيوة	7	93	100	6	94	100	84	16	100
المتوسط	32,4	67,3	100	30,3	69,7	100	87,2	12,8	100

المصدر: العمل الميداني، 2023

تؤكد معطيات الجدول 2، ضعف استعمال المكننة في القطاع الفلاحي بالمجال ، فنسبة استخدام الفلاحين للجرار في الحرث لا تتعدى 32,4 % ، مقابل 67,3 % تعتمد المحراث الخشبي(صورة 1)، و30,3% تعتمد آلة الحصاد مقابل 69,7% لازالت تقوم بجمع المحصول باليد العاملة باستخدام المنجل، مع تسجيل ملاحظة هامة تتمثل في الاستخدام الواسع لآلة الدرس على نطاق كبير في جميع الجماعات، والتي وصلت نسبة الاعتماد عليها 87,2 % (صورة 2)، مقابل تراجع الاعتماد على الدواب، كون العملية شاقة وتتطلب وقت أطول ، إضافة إلى تراجع عددها وارتفاع تكاليف إطعامها الناتج عن الارتفاع المهول لثمن التبن والمواد العلفية، فأصبح الفلاح يفضل بيعها والاعتماد على الآلة.

كما أن ضعف استخدام الآلة في المجال، لا يخفي بعض مظاهر العصرنة والتوجه نحو التحديث في بعض الجماعات كعين مديونة ومزراوة التي يفوق فيها استخدام الوسائل العصرية عن التقليدية، حيث يمثل في الأولى، الحرث بالجرار نسبة 76 % والحصاد بالآلة 70 % والدرس 91 %، و في الثانية يمثل الحرث بالجرار نسبة 82 % والحصاد بالآلة 92 % والدرس 95 %، ويفسر توجه هاتين الجماعتين نحو التحديث في طابع الانبساط الذي يميزهما، عكس باقي الجماعات الأخرى، إضافة إلى استفادتهما من المشروع الهيدروفلاحي السقوي الساهلة[1] و بوهودة[2]، الذي شجع الفلاحين على عصرنة الإنتاج الزراعي، للرفع من المردودية والزيادة في المداخيل.

وبشكل عام، يمكن القول أنه رغم بداية التحديث التي شهدتها بعض الجماعات، فاستعمال المكننة يسجل نقصا كبيرا، و يظهر ذلك في عدد الآلات التي توجد بالمجال (الجدول 3).

الجدول 3: وسائل الإنتاج الزراعية العصرية بدائرة تاونات

عدد الآلات	الجرار	المحراث	آلة الحصاد	آلة الدرس	آلة الزرع	مضخات مائية
دائرة تاونات	121	106	21	43	21	650

المصدر: المديرية الإقليمية للفلاحة تاونات، 2023.

يظهر التأخر في توظيف المكننة بالمجال، من خلال قسمة عدد الجرارات، وآلات الحصاد والدرس، على المساحة الصالحة للزراعة والتي تقدر 47588 هـ، فهي تقارب جرار لكل 393 هـ، وآلة حصاد لكل 2266 هـ، وآلة درس لكل 1106 هـ، و هي معدلات لا تزال دون العدد الكافي لضمان تحديث فلاحي في المناطق البورية كما حددها (الآكحل، 2004، 201)، في جرار لكل 100هـ، و آلة الدرس والحصاد لكل 450هـ، لكن إذا ما قارنا الوضع الحالي مع عدد الآليات التي كانت بالمجال حسب الإحصاء الفلاحي لسنة 1996، فيظهر بالملموس أن المجال شهد تطورا واضحا نحو التحديث، إذ لم يكن بالمجال سوى 40 جرار، و8 آلات حصاد، و0 آلات درس .

تبقى الإشارة إلى أن المجال، عرف تطورا كبيرا على مستوى تجهيز الآبار بالمضخات المائية الكهربائية، والتي وصل عددها إلى 650 مضخة، بعدما كان العدد لا يتجاوز 304 حسب الإحصاء الفلاحي 1996م، كما أن عددها في تزايد مستمر، خاصة بعد انتشار زراعة الكيف وإدخال أصناف هجينة (خردالة، كريتيكا) ذات الإنتاجية المرتفعة، والتي تتطلب كمية كبيرة من المياه.

2.1.2 تطورواضح في الإقبال واستخدام المدخلات الفلاحية

تعتبر المدخلات الفلاحية (الأسمدة الكيماوية، العضوية، المبيدات، البذور المنتقاة)، إلى جانب وسائل الإنتاج، عوامل حاسمة في الرفع من الإنتاجية الزراعية، ودعامة أساسية لتطوير أداء الاقتصاد الفلاحي، كما أن استخدامها المناسب والمعقلن أصبح ضروريا لضمان فلاحة مستدامة ومتطورة، ومجالنا كجزء من الأرياف المغربية التي تشكل الفلاحة نشاطها الاقتصادي الأساسي، وتعتمد عليها بشكل كبير لتلبية

(1)- المدار السقوي الساهلة: يقع ا إداريا بإقليم تاونات، بتراب بلدية تاونات، وجماعة مزراوة، يمتد على مساحة تقدر ب 3240 هكتارا، ويصل عدد الضيعات الفلاحية إلى 2942، ويشمل ساكنة تقدر بحوالي 7400 نسمة تضم 825 أسرة، موزعة على 33 دوارا، بكلفة مالية قدرت ب 532 مليون درهم. أعطيت انطلاقته سنة 2000م. وبدأت عملية السقي فيه سنه 2008.

(2) - المدار السقوي بوهودة: يقع إداريا بإقليم تاونات، يغطي خمس جماعات ترابية، أربعة منها بدائرة تاونات (عين مديونة، ارغيوة، مزراوة، تاونات) وواحدة تقع ضمن النفوذ الترابي لدائرة تيسة (عين عائشة)، تبلغ المساحة المجهزة للسقي 2804 هكتار، فيما المساحة المسقية تقدر ب 2000 هكتار، موزعة على17 دوار، و1480 مستفيد، أعطيت انطلاقة المشروع سنة 2011 وحددت له 2021 سنة البدء في عملية الري.

حاجياتها، وتحسين مستواها السوسيو-اقتصادي، عرف تطورا نوعيا في الاعتماد على هذه المدخلات، خاصة مع التحولات التي شهدها في العقدين الأخيرين، باستفادته من مشروعين سقويين (مدار الساهلة، وبوهودة)، وغزو نبتة الكيف التي يتوقف إنتاجها و مردودها على كمية استخدام هذه المدخلات.

الشكل 2: المواد العضوية المعتمدة في تسميد الاراضي

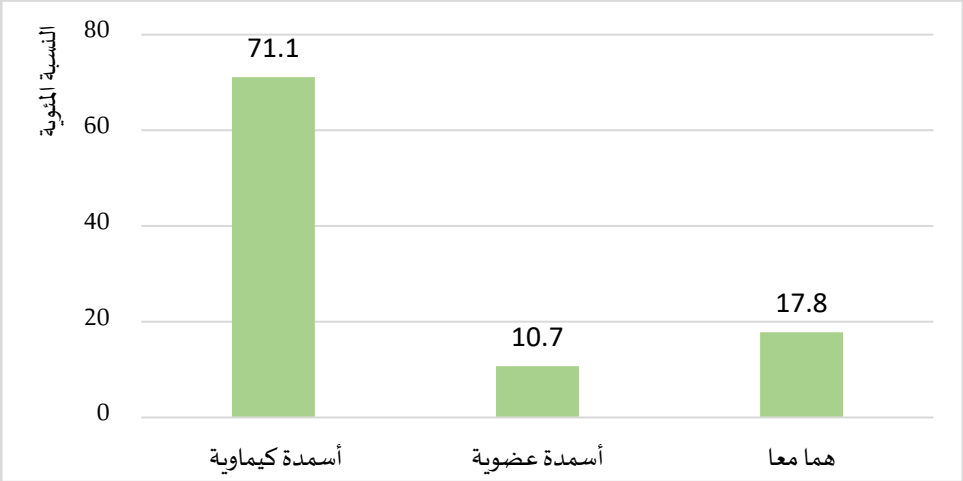

المصدر: العمل الميداني، 2023

تظهر معطيات الشكل 2، التطور الواضح الذي شهده المجال على مستوى الاعتماد على الأسمدة بنوعيها، مع الاهتمام أكثر بالكيماوية، لسرعة فعاليتها ووفرتها في المحلات الخاصة، ومراكز الأشغال الفلاحية بنسبة 71,1 %، عكس العضوية بنسبة 10,7 %، والتي تتميز بالقلة والناتجة عن تراجع قطيع الماشية، وارتفاع تكاليف جلبها من مناطق أخرى، حيث تصل تكلفة حمولة شاحنة واحدة إلى 2500 درهم. وتتزايد أهمية استخدام الأسمدة أكثر في المدارات السقوية (مزراوة، عين مديونة)، ومناطق زراعة الكيف (اخلالفة، تمضيت، بوهودة). ومن أجل الزيادة في الإنتاجية، أصبح الفلاح يتجه نحو الاعتماد على البذور المنتقاة بنسبة 50,8 %، مع الاستعمال الكبير للمبيدات بنسبة 89,9 % للقضاء على الأعشاب الضارة والحشرات، لضمان نمو جيد للمزروعات والأشجار المثمرة. (هيني،2024، 148).

يبقى أن نشير أن أثمنة المدخلات الفلاحية عرفت في السنوات الأخيرة ارتفاعا كبيرا في الأسعار، حيت انتقل سعر القنطار الواحد من الأسمدة الكيماوية من نوع 46 من 250 درهم سنة 2018 إلى 600 درهم سنة 2024، وثمن المبيدات من نوع (هوسال) من 200 درهم إلى 350 درهم، والبذور المنتقاة من 250 درهم للقنطار إلى 430 درهم، أما بذور الكيف الهجينة (خردالة، و كريتيكا) المستوردة، فثمن الحبة الواحدة يتراوح بين 8 و10 دراهم (الصورة 3)، هذه المعطيات بشكل عام قد تضعف استمرارية الفلاحين في الاعتماد على هذه المدخلات، في ظل ضعف قدرتهم الشرائية، وغياب الدعم من طرف الدولة، وعدم انتظام المداخيل الفلاحية لارتباطها بالتغيرات المناخية.

الصورة 1: الحرث بطريقة تقليدية تعتمد على المحراث المعدني

المصدر: تصوير شخصي بتاريخ، 16 نونبر 2024

الصورة 2: الدرس بطريقة عصرية باستخدام الالة

المصدر: تصوير شخصي بتاريخ، 20 يونيو 2024

الصورة 3 : حبوب القنب الهندي الهجينة من نوع خردالة مستوردة من الخارج

المصدر: تصوير شخصي بتاريخ، 17 مارس 2024

الصورة 4: جلب المحصول الى البيدر تمهيدا لعملية الدرس بواسطة ما يعرف محليا " الشبكة" التي تحمل على ظهور الدواب.

المصدر: تصوير شخصي بتاريخ، 20 يونيو 2024

2.2 إنتاج فلاحي متنوع وكثيف مع هيمنة واضحة للزراعة البورية

1.2.2 الوضعية الراهنة لاستعمالات التربة بدائرة تاونات

إن الباحث في الاقتصاد القروي بأرياف دائرة تاونات، يدرك التكامل الذي يطغى على المشهد الفلاحي، بين الزراعات السنوية (الحبوب، القطاني..)، وتربية الماشية (أغنام، معز، أبقار)، والأشجار المثمرة (الزيتون، التين، اللوز...)، مع بداية تفكك هذا المشهد في الجماعات الترابية المحاذية لإقليم الحسيمة[3]، كالخلالفة وتمضيت وبوهودة نتيجة الانتشار الواسع لزراعة القنب الهندي، والتي تكاد تشكل المورد شبه الرئيسي لساكنة هذه الجماعات.

الجدول 4: أشكال استعمالات التربة في دائرة تاونات بالهكتار

الجماعات	الحبوب	القطاني	الزراعات العلفية	الخضروات	الأشجار المثمرة
المجموع	22400	6790	4020	1080	66610

المصدر: المصدر: المديرية الإقليمية للفلاحة تاونات، 2023

تبرز المعطيات الإحصائية الواردة في الجدول 4، أن زراعة الحبوب تشكل النشاط الأساسي لمعظم الفلاحين، ويظهر ذلك في امتدادها المساحي، حيث تغطي 22400 هـ، لكن مساحتها سجلت ترجعا واضحا في السنوات الأخيرة ب 3212هـ مقارنة بالإحصاء الفلاحي لسنة 1996 حيث كانت تغطي 25621 هـ، ويمكن تفسير ذلك بضعف مردودية الحبوب والتي لا تتجاوز 17 ق/هـ في السنوات الرطبة، كما تقل عن 6 ق/هـ في السنوات الجافة (م. أزحيمي، وآخرون، 2019)، دون إغفال ظهور و انتشار زراعة القنب الهندي[4] التي أضحت تتوسع سنويا على حساب مساحات باقي المزروعات، أما القطاني فتمتد على مساحة 6790 هـ، وتتشكل من الفول والعدس والحمص والجلبانة... ، وكان موليراس شاهد على ممارسة السكان لهذه المزروعات منذ أواخر القرن 19 م بقوله" **يزرع القرويون هذه المساحات الصغيرة بالفول و العدس و الحمص....للاستهلاك الذاتي على الخصوص"** (Moulieras, 1899 ,9)، مساحتها تزايدت بشكل كبير ب 5070 هـ نظرا لقدرتها على التكيف مع الطبوغرافية الجبلية والتقلبات المناخية، إضافة إلى ارتفاع ثمنها وانخفاض تكاليف إنتاجها، إضافة إلى الدور الفعال الذي تقوم به في تخصيب التربة، واستعمالها من قبل الفلاحين كمواد علفية للماشية.

كما أصبحت الزراعات العلفية (الخرطال، الذرة، البرسيم...) تشكل مكونا أساسيا ضمن المزروعات الفلاحية المحلية، بامتدادها على مساحة 4020 هـ. أهميتها تزايدت نظرا لتزايد الاهتمام أكثر بتربية الماشية، وتقلص مساحة المراعي بشكل كبير. أما الأشجار المثمرة (الزيتون، التين، اللوز، الكروم، الخروب...)، فتوسعها المجالي يتزايد سنويا، حيث انتقل من 20127 هـ حسب إحصاء 1996 إلى 66610 هـ حاليا، ويعزى ذلك إلى الارتفاع الكبير في أثمنتها ومردوديتها، إضافة إلى التدخلات التي قامت بها الدولة عبر مختلف البرامج التنموية بالمجال (مخطط المغرب

(3) - الحسيمة: إقليم يوجد شمال المغرب ويضم المناطق التاريخية لزراعة القنب الهندي بالمغرب (كتامة، بني خالد، بني سدات)، وهذه المناطق حدودية مع مجال الدراسة، وبحكم الاحتكاك المباشر والدائم بين سكان الجماعات المجاورة لهذه المناطق التاريخية لزراعة الكيف ومعرفتهم بحجم أرباحها فقد عملوا على إدخالها إلى دائرة تاونات لدرجة أصبحت تتصدر المشهد الفلاحي بهذه الجماعات مساحتا ومدخولا.

(4) - القنب الهندي: تعتبر زراعة القنب الهندي بالمجال التاوناتي زراعة دخيلة وحديثة، ظهرت بتراب دائرة تاونات أول مرة سنة 1998 بجماعة الخلالفة المجاورة للمناطق التاريخية لزراعته(كتامة)، ومنها أنتشر وفي وقت وجيز إلى باقي الجماعات الترابية المشكلة لدائرة تاونات.

الأخضر سنة 2008، برنامج حساب تحدي الألفية الامريكي، 2008- 2013، برنامج التنمية المندمجة لقطاع الأشجار المثمرة 2010-2014....)، والتي تهدف جميعها إلى توسيع مساحات الأشجار المثمرة، إضافة إلى كون سكان اجبالة تاونات يتوفرون على مهارة عالية في الغراسة (Moulieras,1899 ,96).

أما الخضروات (الفلفل، اليقطين، البدنجال....)، فرغم أن المجال اشتهر بزراعتها مند القدم كما يذهب إلى ذلك مورير " **كان الفلاحون يزرعون الحبوب و القطاني إضافة إلى الخضروات**" (Maurer, 1968, 48)، ارتباطا بالوفرة المائية (الأودية، العيون، الآبار)، وكانت تشكل جزءا مهما من مدخول الفلاح الأسبوعي من خلال بيعها في الأسواق المحلية، فدورها ومساحتها حاليا تراجعت بشكل كبير من 6120 هـ حسب الإحصاء الفلاحي 1996 إلى 1080 هـ حاليا، وذلك بسبب حاجياتها الكبيرة للماء في فصل الصيف، والتي تتزامن مع النقص الذي يعرفه المجال في الموارد المائية، إضافة إلى أن إقامة المنشآت المائية في عالية المجال، حرم الجماعات التي توجد في السافلة من كمية كبيرة من المياه التي كانت تستغلها للسقي، فضلا عن تفضيل الفلاحين استغلال الماء في زراعة الكيف المربحة عن الخضر التي تتميز بضعف الأثمنة وصعوبة التسويق، في ظل منافسة الخضروات الوطنية التي تغزو الأسواق الأسبوعية المحلية.

وبشكل عام، فإن المساحة التي يغطيها كل مزروع تتغير بشكل موسمي، تبعا للظروف المناخية والتقنية، وتزايد الطلب على المنتوج في الأسواق....

الشكل 3: استعمالات التربة بدائرة تاونات لسنة 2024

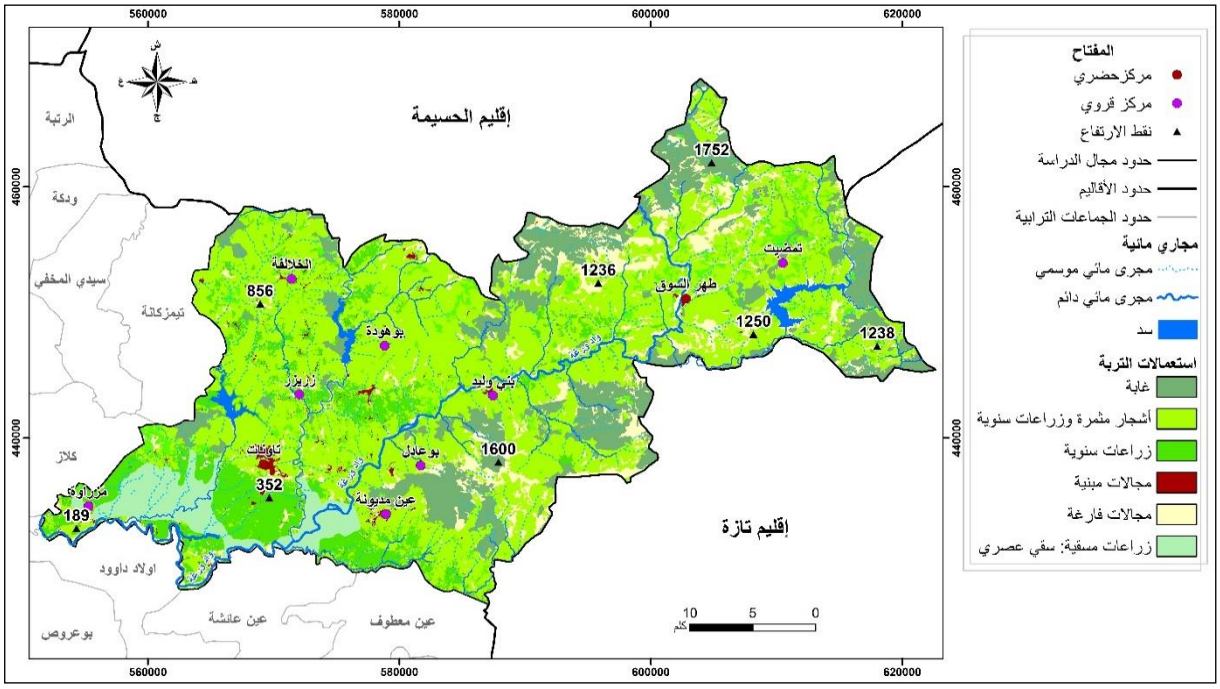

المصدر: إنجازشخصي انطلاقا من العمل الميداني وصورالأقمارالصناعية 2024

2.2.2 تنوع في الأنشطة الزراعية مع سيادة المزروعات الموسمية

ساهم قدم التعمير بنطاق اجبالة تاونات، وارتفاع الكثافات السكانية، وتجزؤ ملكية الأرض، في تواجد إنتاج زراعي متنوع لتغطية الحاجيات الأسرية، وتحقيق اكتفائها الذاتي من المواد الغذائية الفلاحية، هذا الإنتاج يتميز بالتباين في المردودية، والتي تتحكم فيه الظروف المناخية وطرق الاستغلال، إذ يحقق أرقاما مهمة في السنوات الرطبة، مقابل إنتاجية ضعيفة في سنوات الخصاص المطري. (الجدول 5).

الجدول 5: مردودية المنتوجات الفلاحية حسب فئة الاستغلالية بالجماعات المبحوثة بدائرة تاونات

المنتوجات	فئة الاستغلالية	المردودية(ق/هـ)		المنتوجات	فئة الاستغلالية	المردودية (ق/هـ)	
		سنة رطبة	سنة جافة			سنة رطبة	سنة جافة
الحبوب	أقل من 2 هـ	11	1,5	الزيتون	أقل من 2 هـ	15	5
	من 2 إلى 5هـ	15	3.5		من 2 إلى 5هـ	20	7
	أكثر من 5هـ	25	5		أكثر من 5هـ	29	10
المتوسط		17	3,3	المتوسط		21	7,3
	أقل من 2 هـ	7	1,7	التين	أقل من 2 هـ	12	5

المنتوجات	فئة الاستغلالية	المردودية(ق/ه)		المنتوجات	فئة الاستغلالية	المردودية (ق/ه)	
		سنة رطبة	سنة جافة			سنة رطبة	سنة جافة
القطاني	من 2 إلى 5ه	11,5	2,5		من 2 إلى 5ه	19	6
	أكثر من 5ه	13	4,5		أكثر من 5ه	22	12
المتوسط		10,5	2,9	المتوسط		17,6	7,7
الزراعات العلفية	أقل من 2 ه	6	1,5	اللوز	أقل من 2 ه	7	2
	من 2 إلى 5ه	8,5	3		من 2 إلى 5ه	10	5
	أكثر من 5ه	12	5		أكثر من 5ه	13	7
المتوسط		8,8	3,1	المتوسط		10	4,7

المصدر: العمل الميداني، 2023

تظهر معطيات الجدول 5، أن مردودية المنتوجات الفلاحية يطبعها التذبذب والتباين، بين المواسم الفلاحية الرطبة والتي يسجل فيها المردود ارتفاعا مهما، يصل إلى 17 (ق/ه) كمتوسط في الحبوب، و10,5 (ق/ه) في القطاني و8,8 (ق/ه) في الزراعات العلفية، بالمقابل يسجل انخفاضا كبيرا في سنوات الخصاص المطري، إذ ينخفض إلى 3,3 (ق/ه) في الحبوب، وإلى 2,9 (ق/ه) في القطاني، وإلى 3,1 (ق/ه) في الزراعات العلفية، ويظهر ضعف المردود أكثر عند مقارنته بمردودية الهكتار على المستوى الإقليمي، فإذا أخدنا مثلا مردودية منتوج الحبوب فنجدها تتجاوز 30 (ق/ه) في السنوات الرطبة، كموسم 2016-2017 والتي وصلت إلى 35 (ق/ه)، وإلى 6,7 (ق/ه) في السنوات الجافة كموسم 2015-2016 (هيني،2024 ، 152).

كما دفع ضعف المردود الزراعي الساكنة إلى الاعتماد أكثر على الأشجار المثمرة (الزيتون، التين، اللوز...)، التي أصبح دورها يتزايد في المشهد الفلاحي المحلي، نظرا لانتشارها المجالي الواسع وتكيفها مع الطبوغرافية والتقلبات المناخية، ولفرص الاستثمار التي تتيحها ومردوديتها الجيدة؛ حيث يصل المردود في السنوات الجيدة في المتوسط إلى 21 (طن/ه) في الزيتون، وإلى 17,6 (طن/ه) في التين، وإلى 10 (طن/ه) في اللوز، وحتى في المواسم الجافة يبقى الإنتاج متوسط بحيث لا يقل عن 7 (طن/ه) في الزيتون والتين، وفي حدود 5 (طن/ه) بالنسبة للوز، لكن رغم هذا الانخفاض في المردودية في السنوات الجافة فإن الأثمنة تكون مرتفعة، فتحقق للفلاحيين نوع من التوازن في الدخل.

3.2.2 تربية الماشية نشاط تكميلي مهم في الاقتصاد الفلاحي المحلي

تعتبر تربية الماشية من الأنشطة الأساسية التي تساهم في تنمية الاقتصاد القروي ببلاد اجبالة تاونات، لكونها تشكل أحد المصادر الإضافية في دخل الفلاحين، وتؤمن جزءا من حاجياتهم الغذائية (الحليب، الزبدة)، وتوفر المواد الأولية لبعض الحرف التقليدية، كما يتم استغلال مخلفاتها في تخصيب الأرضي الزراعية. بنية القطيع تتميز بالتنوع في الأصناف والتباين في العدد، وقد شهدت في السنوات الأخيرة تحولا هاما نحو التحسن النوعي والوظيفي، حتى تواكب التوجهات المستقبلية لفلّاحي المنطقة.

يتميز قطيع الماشية بشكل عام بتنوعه، فهو يتشكل من الأغنام والأبقار والماعز. فعلى مستوى عدد الرؤوس تحتل الأغنام الرتبة الأولى ب 33600 رأس، أي ما يعادل 61 % من إجمالي القطيع، تليها الابقار ب 13950 رأس بنسبة 25,3 %، ثم الماعز ب 7650 رأس بنسبة 13,8 %. (المديرية الإقليمية للفلاحة تاونات، 2023).

الجدول 6: بنية وتطور قطيع الماشية بدائرة تاونات بين 1996 و2021

الجماعات الترابية	1996			2021		
	الأغنام	الابقار	المعز	الأغنام	الأبقار	المعز
المجموع	40849	15373	9321	33600	13950	7650

المصدر: المديرية الإقليمية للفلاحة تاونات، 2023

تكشف معطيات الجدول 6، تنوع بنية قطيع الماشية بالمجال، مع تسجيل تراجع واضح في جميع الأصناف.

- فبالنسبة للأغنام فقد انخفض عدد رؤوسها من 40849 حسب الإحصاء الفلاحي لسنة 1996 إلى 33600 رأس سنة 2023 (المديرية الإقليمية للفلاحة تاونات، 2023)، وقد تحكم في هذا التراجع والذي يتم بشكل موسمي، الظروف الاقتصادية للحيازة، فالفلاح يضطر لبيع عدد مهم من الرؤوس سنويا لتغطية مصاريف الموسم الفلاحي المتزايدة من شراء البذور والحرث والحصاد، إضافة إلى ظاهرة الجفاف، والتي ترتب عنها نقص كبير في مصادر الكلأ، خاصة وأن هذا القطاع يعتمد بشكل كبير على الرعي التقليدي. أما عن بنية القطيع فيتركب من الصنف المحلي "البلدي"، لكن في السنوات الأخيرة بدأت أهميته تتراجع لضعف مردوديته، مقابل تزايد أهمية بعض الأصناف الأخرى، خاصة صنفي "الصردي، والجلموسي" اللذان يتميزان بجودة نسليهما وارتفاع أثمنتهما، إضافة إلى كثرة الطلب

عليهما في الأسواق، فمثلا بجماعة مزراوة توجد 25000 رأس من هذين الصنفين، وبتاونات 18000 رأس، وبجماعة عين مديونة 15000 رأس. (المديرة الإقليمية للفلاحة تاونات، 2023).

- أما قطيع الماعز والتي اشتهرت المنطقة بتربيته مند القدم، فقد عرف هو الآخر تراجعا واضحا من 9321 رأس إلى 7650 خلال نفس الفترة المرجعية، وذلك لضعف مردودها ولكونها تلحق أضرارا كبيرة بالأشجار المثمرة المنتشرة بشكل كبير بالمجال، فضلا عن عدم تحمس الفلاحين لهذا الصنف والاهتمام بزراعة الكيف الأكثر مردودية، فمثلا بجماعة تمضيت تراجع العدد من 3724 رأس إلى 540 وبجماعة فناسة باب الحيط من 1388 رأس إلى 300، خلال نفس الفترة المرجعية. (المديرة الإقليمية للفلاحة تاونات، 2023).
- أما الأبقار فقد كان الفلاح المحلي ولفترة طويلة يعتمد على الصنف المحلي (البلدي) بشكل خاص، حيث كان يملك قطيعا متواضعا يتكون من بقرة إلى أربع بقرات في المتوسط، توفر الحليب للتغذية اليومية، والعجول للبيع من أجل المساعدة في تغطية المصاريف، ويعتمد في تربيتها بشكل عام على الرعي التقليدي. ومع عدم قدرتها على تحقيق نوع من التوازن في ميزانية الفلاح، نتيجة هزالة مردوديتها **"عجل واحد يباع كل خمس سنوات.... و مردودية الحليب لا تتعدى لترفي اليوم لكل بقرة حلوب"** (بوهلال،2017 ،98)، أصبحت أهميتها تتراجع لحساب أصناف هجينة مستوردة من الخارج، وخاصة من هولندا وبلجيكا و ألمانيا، التي تُعرف بمردوديتها المرتفعة على مستوى إنتاج الحليب والعجول الموجهة للتسمين، هذه الأصناف تتكفل تعاونيات مختصة في جمع الحليب في جلها وتوزيعها على الفلاحيين، وندرج هنا مثال تعاونية الحليب بدوار ساحل بوطاهر بالجماعة الترابية مزراوة التي قامت سنة 2018 باستيراد 350 بقرة من النوع الهولندي، وتوزيعها على الفلاحين بثمن 8000 درهم لكل رأس، تدفع على شكل أقساط. هذا التحول الذي بدأ يعرفه المجال على مستوى النوع غطى على التراجع الذي يعرفه على مستوى العدد، الذي انتقل من 15373 رأس حسب الإحصاء الفلاحي لسنة 1996 إلى 13950 رأس سنة 2023 (المديرية الإقليمية للفلاحة تاونات، 2023).

وبشكل عام، فتربية الماشية بدأت تعرف تحولات واضحة، تتمثل في كون الفلاح يميل إلى تحسين النوعية والبحث عن السلالات الجيدة (الجدول 7)، وقد ظهر هذا التوجه من خلال نتائج العمل الميداني بالجماعات المبحوثة، وإن كان هذا التحسن اقتصر بشكل كبير على المدارات السقوية (عين مديونة، مزراوة)، وخاصة بالحيازات المتوسطة والكبرى.

الجدول 7: وضعية قطيع الماشية حسب النوع بالجماعات المبحوثة بدائرة تاونات

الجماعات	صنف القطيع	محلي "بلدي"	صنف جيد	مختلط	مجموع النسب
عين مديونة	الأغنام	54,7	28,3	17	100
	الابقار	41,3	34,6	24,1	100
	الماعز	70,9	11,7	17,4	100
بوهودة	الأغنام	49,1	25,4	25,5	100
	الابقار	52,1	21,9	26	100
	الماعز	80	9,5	10,5	100
اخلالفة	الأغنام	65,3	12,4	32,3	100
	الابقار	56,4	19,6	24	100
	الماعز	82	9	9	100
تمضيت	الأغنام	71,4	18,5	10,1	100
	الابقار	61,5	17,9	21,6	100
	الماعز	65,3	16,5	17,2	100
مزراوة	الأغنام	20,1	49,5	30,4	100
	الابقار	25,5	56,9	17,4	100
	الماعز	48,6	12,8	39,6	100
ارغيوة	الأغنام	45,4	19,6	35	100
	الابقار	59,9	18	22	100
	الماعز	59,3	11,7	29	100

المصدر: العمل الميداني، 2023

على الرغم من أن معطيات الجدول لازالت تؤكد هيمنة الصنف المحلي، فنسب حضور الأصناف الجيدة توحي بميل الفلاحين نحو هذا النوع لمردوديته المرتفعة وسهولة تسويقه وتزايد الطلب عليه، فنسب الاعتماد عليه تبقى مرتفعة في جماعتي مزراوة 49 % بالنسبة للأغنام

و56,9 % بالنسبة للأبقار، وعين مديونة ب 28,3 % للأغنام و36,4 % للأبقار، بحكم التحول العام الذي شهدته هاتين الجماعتين وتواجدهما في المدارين السقويين بوهودة والساهلة.

وإجمالا، نخلص أن بنية القطيع بالمجال، تتميز بالتنوع والتحسن على مستوى النوع مع استمرار أهمية الصنف المحلي، كما أن تربية الماشية لازالت تقليدية تعتمد على الرعي في الحقول، ومرتبطة بالتساقطات المطرية المتقلبة، وهذا ينعكس على مردوديتها التي تبقى دون طموحات الفلاحين، مما دفع العديد منهم وخاصة الشباب التوجه نحو زراعة الكيف ذات الأرباح المرتفعة.

3.2 الآليات المعرقلة للتحديث الفلاحي بدائرة تاونات

1.3.2 أنظمة عقارية متنوعة تعيق العصرنة والتكثيف الفلاحي

يُعرف المغرب بتعدد وتنوع أنظمته العقارية، سواء من حيث نمط الاستغلال أو الأساس التي يستمد منها أحكامه، أو من حيث طريقة التدبير، اختلاف طبيعة هذه العقارات وتعدد أنظمتها يعتبر عاملا أساسيا في التنمية الريفية، وعند التطرق لطبيعة النظام العقاري بدائرة تاونات، يظهر أنه لا يختلف كثيرا عن الوضع العام للنظام العقاري بالأرياف المغربية، والذي يتميز بسيادة الملك الخاص، وضعف أهمية باقي الأنظمة الأخرى، خاصة أراضي الكيش والأراضي الجماعية التي تكاد تختفي في منطقة اجبالة تاونات.

الشكل 4: الوضعية القانونية للأراضي الصالحة للزراعة بدائرة تاونات

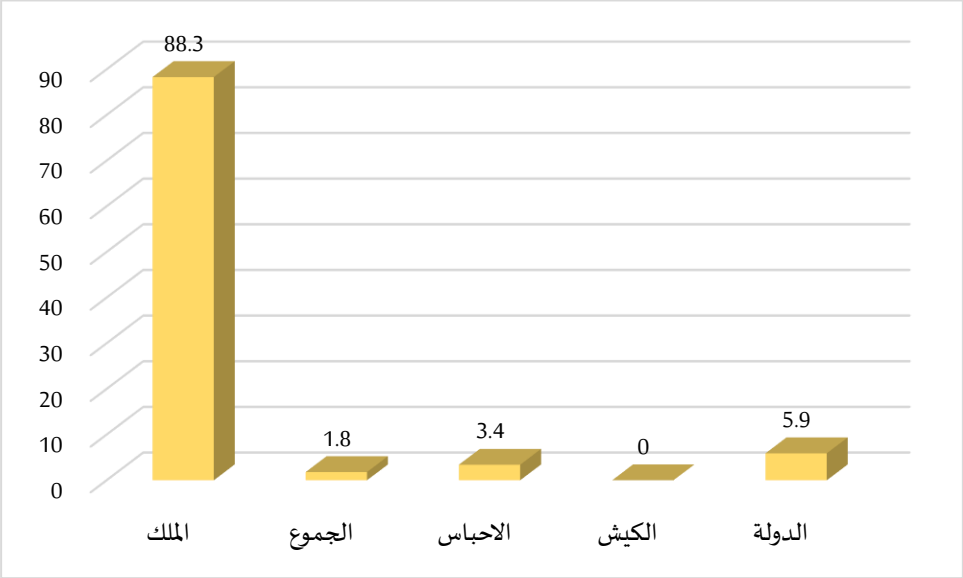

المصدر: المديرية الإقليمية للفلاحة تاونات، 2023

تبرز معطيات الشكل 4، أن الوضع العام للملكية العقارية بمجال الدراسة تهيمن عليه الملكية الخاصة بنسبة 88,3 %، تخضع لاستغلال جماعي من قبل جميع أفراد الأسرة ما دام رب الأسرة على قيد الحياة. تأتي بعدها أملاك الدولة بنسبة 5,9 %، تتشكل في غالبيتها من المجالات الغابوية، ثم أراضي الحبوس التي تمثل 3,4 %، ثم أراضي الجموع والتي لا تمثل إلا نسبة ضعيفة لا تتجاوز 2 %، والتي تدعى" حرم " أو" حريم"، أو" مشطة "الدوار، وهي أراضي تستغل في الرعي أو في الزراعة من طرف القبيلة أو الفرقة والدوار (العبادي، 2014، 165)، يكاد وجودها يكون منعدما في مجموعة من الجماعات الترابية للمجال (تمضيت، فناسة باب الحيط، بني ونجل تافراوت)، وحتى الجماعات التي تتوفر على هذه الأراضي مساحاتها عرفت تراجعا كبيرا خلال الفترة الاستعمارية، بسبب استيلاء المعمر الفرنسي على أجودها، وبعد الاستقلال أقدمت مجموعة من الدواوير على تحويل جزء من الأراضي الجماعية التي كانت مخصصة للرعي إلى ملك خاص، تمارس فيه الأنشطة الزراعية تحت إشراف ممثل الجماعة العرفية **"ضامن الجماعة"** (بونقاية، 2019، 554).

نستخلص إذن، أن الاتجاه العام الذي أصبح عليه النظام العقاري بالمجال، يؤكد سيادة الملكية الخاصة والناتجة عن النمو الديمغرافي الكبير الذي شهده المجال بعد حصول المغرب على الاستقلال ورغبة الساكنة في امتلاك الأرض، باعتبارها مدخلا أساسيا للتنمية في الأرياف (ع. العطري، 2012)، من خلال عمليات اجتثاث واسعة للمجالات الغابوية، والتوسع كذلك على حساب الأراضي الجماعية، وبالتالي إضعاف وتراجع الأنواع العقارية الأخرى.

2.3.2 سيادة الطابع الجبلي بالمجال ساهم في تقلص الأراضي الصالحة للزراعة

تعتبر الأرض موردا هاما تساهم في التنمية الترابية بدائرة تاونات، خاصة وأن معظم ترابها قروي ويعتمد على الفلاحة كقطاع حيوي، سواء على مستوى الإنتاج أو التشغيل، لكن طبيعة المجال الطبوغرافية التي يطغى عليها الطابع الجبلي الشديد التقطع والانحدار، يجعل

مساحة الأراضي الصالحة للزراعة غير متوازية مع حمولته الديمغرافية، فهي تمتد فقط على مساحة 47580 هكتارا، تشكل المسقية منها 3438 هكتار أي ما يعادل 6,46 %، والبورية 44900 هكتار أي ما يناهز 93,45 % (الجدول 8).

الجدول 8: توزيع مساحة الأراضي الصالحة للزراعة ونوع الاستغلال بدائرة تاونات

الجماعات الترابية	المساحة الصالحة للزراعة (الهكتار)	الاراضي البورية (الهكتار)	%	الأراضي المسقية (الهكتار)	%
المجموع	47588	44900	93,45	3438	6,46

المصدر: المديرية الإقليمية للفلاحة تاونات2023

تظهر معطيات الجدول 8، بشكل عام ضعف نسبة الأراضي الصالحة للزراعة بالمجال ومساحة الأراضي المسقية، فإذا كانت الأولى تجد تفسيرها في العوامل الطبيعية، فالثانية لا يمكن تفسيرها إلا بغياب إرادة حقيقية لتطوير القطاع، خاصة وأن المجال يتوفر على شبكة مائية سطحية تعتبر الأهم على المستوى الوطني (ورغة، الساهلة، سرى، أسفالو...)، ومنشآت مائية متعددة (سد الساهلة، سد بوهودة، سد أسفالو)، والتي إن تم توظيفها في خدمة القطاع والمجال، والرهان عليها، قد تعوض النقص في الأراضي الصالحة للزراعة من خلال تنويع الإنتاج والاعتماد على الزراعات المربحة وعلى مدار السنة (الخضروات، الفواكه....)، ومزاوجتها مع تربية الماشية العصرية (أبقار الحلوب، التسمين...) عكس الاكتفاء بالزراعات السنوية ذات المردود الضعيف (الحبوب)، كما قد تشجع الفلاحين على عصرنة القطاع والاستثمار فيه بدل الهجرة. فالاعتماد على الأرض والرهان عليها كأساس ومنطلق للتنمية المجالية، يحتم ضرورة استغلال الفرص التي يتيحها المجال، لتنويع الإنتاج وتكثيفه وهي إمكانيات متوفرة (موارد بشرية، موارد مائية، الأرض...) فقط تحتاج إلى الحكامة وحسن التدبير.

3.3.2 هيمنة الاستغلاليات الزراعية الصغرى على المشهد الفلاحي

يرتبط تنظيم المجال الزراعي ارتباطا وثيقا بتنظيم الاستغلاليات الزراعية، سواء من حيث مساحتها، عددها، وأشكالها الهندسية، إذ لا يمكن الحديث عن تهيئة فلاحية ناجعة دون الأخذ بعين الاعتبار تركيز هذه الاستغلاليات وتنظيمها مجاليا (Akesbi , 2001,4).

لقد أظهرت نتائج البحث الميداني في الجماعات الترابية المبحوثة، عن خاصية أساسية تميز منطقة اجبالة تاونات، وهي مجهرية وتشتت الملكية (الشكل 5)، والذي اعتبرها (ضايض،2005) ظاهرة قديمة، ساهمت وبشكل واضح في تحويل الملكيات الكبيرة إلى قطع صغيرة قد لا تتعدى عُشر الهكتار، وأرجعها (El mrabet, 1984) إلى ظاهرة التقسيم بفعل التوارث وتعدد الأفراد الوارثين الناتج عن النمو الديمغرافي الذي شهده ويشهده المجال، حيث أن ملكية واحدة قد تتجزأ بين أكثر من 50 فردا.

الشكل 5: توزيع الاستغلاليات حسب الفئات بالجماعات المبحوثة بدائرة تاونات

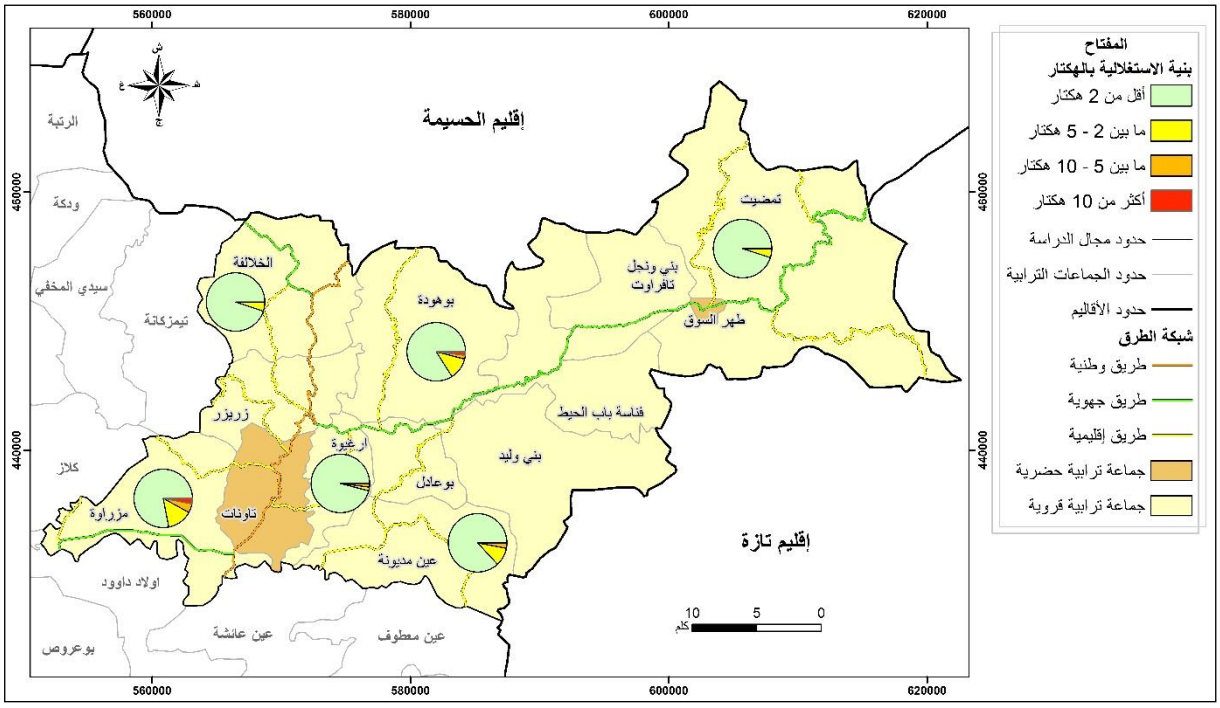

المصدر: إنجار شخصي انطلاقا من معطيات البحث الميداني، 2024

يعكس الشكل 5 المشهد العام الذي يميز حجم الاستغلاليات بمجال الدراسة، والذي يتميز بسيادة الملكيات الصغيرة، حيث أن 96 % من الأسر المستجوبة مساحة أراضيهم الزراعية تقل عن 5 هكتارات، منهم 88.5 % لا تتجاوز أراضيهم هكتارين، و7,8 % تتراوح أراضيهم ما بين 2 - 5 هـ، بمعدل إجمالي عام يتراوح بين 1 إلى 2,5 هكتارات للمالك الواحد، وهو رقم أقل من المساحة الدنيا لتغطية حاجيات وإعالة أسرة في المجالات البورية، والتي يتراوح معدلها بين 5 و7 هكتارات (بونقاية، 2019)، كما أن هذه الاستغلاليات في معظمها مجزأة إلى قطع صغيرة، يصعب معها عصرنة الاستغلال، وهذا ينعكس على المردودية التي غالبا ما تكون ضعيفة، وقد توصلنا من خلال الخرجات الميدانية والروايات الشفوية لمجموعة من المستجوبين، إلى أن استغلالية واحدة لمالك واحد قد تنقسم إلى أكثر من 8 مشارات، قد لا تتجاوز مساحة البعض منها بضع أمتار، تجمع بين عدة منتوجات (أشجار مثمرة، خضر، قطاني...). فيما 2,7 % فقط تتراوح مساحة أراضيهم ما بين 5 - 10هـ، شساعة الاستغلاليات في هذه الفئة يُفسَّر بالنفوذ الذي كان يتمتع به رجال السلطة في الفترة الاستعمارية، مكنهم من الاستيلاء على أراضي شاسعة وتكوين رصيد عقاري مهم، إضافة إلى إستغلال بعض أثرياء المنطقة لسنوات القحط والمجاعة التي عرفها المغرب وضمنه مجال الدراسة، وتوسيع أراضيهم بواسطة قدر معين من القمح أو الشعير أو التين، يعطى لصاحب الأرض مقابل التنازل عن أرضه. أما الذين تتجاوز أراضيهم أكثر من 10 هـ فيشكلون فقط 1,2 %، ونذكر فقط نموذجيين لاستغلاليتين في الجماعات المبحوثة تتجاوز مساحاتهما 200 هكتار، الأولى بجماعة بوهودة بالقرب من قنطرة أسكار على ضفة واد أسرى (ضيعة الدجايجي)، والثانية بجماعة مزراوة على الضفة اليمنى لواد ورغة (ضيعة بنعلي)، ويرى (ضايض،2005) أن شساعة الاستغلاليات له علاقة بالأراضي التي كانت في ملكية المستعمر، وبعد حصول المغرب على الاستقلال تم تفويتها لمغاربة ميسورين.

خاتمة:

بعد تشخيصنا لواقع القطاع الفلاحي بدائرة تاونات، اتضح لنا محورية وأهمية هذا النشاط في المنظومة الاقتصادية المحلية، وتعدد الاكراهات التي تواجهه(توالي سنوات الجفاف، شدة التضرس، صغر الاستغلاليات وتشتتها، اعتماد طرق الإنتاج التقليدية، تعقد الأنظمة العقارية.....)،هذه الاكراهات فرضت على الدولة و الفلاح الجبلي ضرورة تنمية وتطوير هذا القطاع، عبر عصرنة وتحديث أدوات ووسائل الإنتاج، وتوفير شروط تكثيف الأنماط الزراعية، وذلك بالاستغلال الجيد والعقلاني للموارد المحلية خاصة الموارد المائية التي يزخر بها المجال(سد الساهلة، سد بوهودة، سد أسفالو)، لتوسيع المساحة المسقية و تنويع المزروعات و تكثيفها داخل الحيازة.

وقد أثمرت المجهودات الكبيرة التي قامت بها الدولة والفلاح المحلي، في تنويع وتكثيف الإنتاج الزراعي (الحبوب، القطاني، النباتات الطبية والعطرية، الزيتون، التين، اللوز، الحوامض...) و الاعتماد أكثر على وسائل الإنتاج العصرية، و المدخلات الفلاحية، إلا أن الاكراهات الطبيعية و التنظيمية، ومحدودية تعبئة وتثمين المنتوجات ذات الخصوصية المحلية، دفع بالعديد من الفلاحين وخاصة الشباب منهم، إلى البحث عن بدائل أكثر مردودية ودخلا، وقد سهل القرب الجغرافي للمجال مع المناطق التاريخية لزارعة الكيف، ومعرفة الساكنة بالأرباح الكبيرة التي يخلفها، إلى إدخاله للمجال التاوناتي في السنوات الأخيرة من القرن الماضي، كما عرفت زراعته انتشارا واسعا، لارتفاع مردوديته ومداخيله، خاصة بعد ظهور الأصناف الهجينة، (خردالة، كريتيكا...)، غير أنه إذا ساهمت هذه النبتة في تحسين الأوضاع المادية للمزارعين، فإن تأثيراتها الاجتماعية والبيئية تبقى خطيرة، مما يتطلب الإسراع بتدخلات عاجلة وفعالة لإخراج هذا المجال من التهميش و حماية موارده الطبيعية من التدهور.

المراجع

لائحة المراجع باللغة العربية:

- الفلاح بوشتى (2000) حركات السفوح والمخاطر المرتبطة بها بالريف الأوسط، أطروحة لنيل دكتورة الدولة في الجغرافية، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية – الرباط ،324 ص.
- المختار الأكحل، (2014): دينامية المجال الفلاحي ورهانات التنمية الفلاحية، حالة هضبة بنسليمان، منشورات دار أبي رقراق، الطبعة الأولى، الرباط، المغرب، 343 صفحة.
- بوجمعة بونقاية، (2018): "الإعداد الهيدرو- فلاحي وآليات التدبير التشاركي بحوض ورغة الأوسط: مقاربة سوسيو-ترابية، أطروحة لنيل دكتورة في الجغرافية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد المالك السعدي، تطوان، 802 ص.
- حسن ضايض، (2005): المجال والمجتمع جنوب الريف الأوسط. أطروحة لنيل دكتورة الدولة في الجغرافية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله- فاس، 517 ص.
- عبد الرحيم العطري، (2012): "تحولات المغرب القروي :أسئلة التنمية المؤجلة"، الطبعة الثانية، منشورات دفاتر الحرف والسؤال، مطبعة بريس، الرباط، المغرب، 136 صفحة.

- عبد السلام بوهلال،2017: دينامية الاقتصاد القروي ببلاد الكيف، مجلة تدغين للأبحاث الامازيغية والتنمية، العدد 6، صص،94-107.
- محسن ازحيمي، محمد بوطلاقا، أمحمد بودواح، (2019): الإنتاج الفلاحي بإقليم تاونات بين الرغبة في التجديد وصعوبات التأقلم مع إكراهات الوسط الطبيعي والضغط البشري على الموارد: دراسة حالة جماعتي الرتبة ومزراوة، مجلة المجال الجغرافي والمجتمع المغربي، رقم 30، ص ص: 219-246.
- محمد العبادي، (2014): دينامية الغطاء الغابوي للريف الأوسط الجنوبي وعلاقته بالضغط البشري حالة غابة ودكة، أطروحة الدكتوراه في الجغرافيا، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، 335 ص.
- محمد هيني، (2024): الموارد الترابية والتنمية المحلية بالريف الأوسط الجنوبي: " دائرة تاونات أنموذجا" أطروحة لنيل دكتورة الدولة في الجغرافية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله- فاس، 417 ص.
- موسى كرزازي، (2004): مناهج البحث في الأرياف من خلال تطبيقات حول الهجرة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 133، الطبعة الأولى، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب، ص:39 - 64.
- مولاي لحسن الفارسي، (2022): تحول أنظمة الإنتاج المحلية بالمجالات الجبلية: حالة حوض غيغاية بالأطلس الكبير الغربي، كتاب جماعي، طبع ونشر، مؤسسة مقاربات، فاس، صص،263-285.

لائحة المراجع باللغة الفرنسية:

- AKESSBI, N. (2001): Les exploitations agricoles au Maroc: Diagnostique à la lumière du recensement générale agricole, In MEDIT, NR :4, Pp :2 -11.
- EL MRABET, B. (1984): Société et espace dans une petite montagne méditerranéenne émigration et habitat dans la montagne sud- rifaine (pays de Taounate). Thèse. Doct. Univ. Paul Valér. Montpellier III. France, 236
- MAURER, G. (1968) : Les paysans de haut Rif central, R.G.M. N°14.
- MOULIERAS, A. (1899): Le Maroc inconnu, Exploration des djbala ; tom II; Paris, p 372.